كل احد

من هم الليبراليون العرب الجدد وما هو خطابهم؟

د. شاكر النابلسي

-١-
ظهر التيار الليبرالي العربي أو التيار العقلاني التنويري في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على أيدي جيلين من المفكرين التنويريين. فكان الجيل الأول يمثل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وعبد الرحمن الكواكبي وشبلي شميّل وفرح أنطون وغيرهم. وظهر الجيل الثاني في بداية القرن العشرين وكان يمثل طه حسين وقاسم أمين ومحمد حسن الزيات وتوفيق الحكيم ومحمد حسين هيكل وغيرهم. وهؤلاء جميعاً اشتركوا في تيار فكري وسياسي واحد كان ينادي بالمبادئ الآتية:
- حرية الفكر المطلقة.
- حرية التدين المطلقة.
- حرية المرأة ومساواتها بالحقوق والواجبات مع الرجل.
- التعددية السياسية.
- المطالبة بالإصلاح الديني.
- المطالبة بالإصلاح التعليمي والسياسي.
- فصل الدين عن الدولة. وكان هذا المطلب خاصاً بالجيل الثاني لليبراليين العرب في مطلع القرن العشرين.
- اخضاع المقدس والتراث للنقد العلمي.
- تطبيق الاستحقاقات الديمقراطية.

-٢-
وفي النصف الثاني من القرن العشرين ظهر تيار تنويري ليبرالي قادته مجموعات كبيرة من النخب الثقافية في العالم العربي استعرضنا فكرها في كتابنا (الفكر العربي في القرن العشرين ١٩٥٠- ٢٠٠٠) في أجزائه الثلاثة التي صدرت في ٢٠٠١ . وكانت هذه النخب تتبنى خطاب التنويريين العرب في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وتضيف عليه المبادئ الآتية:
- محاربة المجتمعات الديكتاتورية العسكرية والقبلية والحزبية المتسلطة التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين بعد الاستقلال، وأحدثت ما نُطلق عليه (كوارث الاستقلال).
- المناداة باقامة المجتمع المدني.
- احياء دعوة الاصلاح الديني من جديد.
- التأكيد على العلمانية، وفصل الدين عن الدولة.

وفي نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين وبعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على وجه الخصوص، الذي يعتبر فاصلاً تاريخياً عربياً كما هو من الفواصل التاريخية الأمريكية أيضاً كما بيّنا في الجزء الأول من هذا المقال، ظهر جيل جديد من الليبراليين أطلق عليهم الإعلام العربي (الليبراليون الجدد). وهؤلاء نادوا بعصر تنوير جديد، وهو مقدمة لفلسفة المستقبل، وتبنوا أفكار التنويريين الذين جاءوا في القرن التاسع عشر، والذين جاءوا في بداية القرن العشرين، وكذلك أفكار الليبراليين الذين جاءوا في النصف الثاني من القرن العشرين، وأضافوا إليها المبادئ الآتية من خلال مواقفهم ومن خلال ما يكتبون، والتي تعتبر بمثابة مسودة أولى لمانيفستو الليبراليين الجدد:

١- المطالبة بالإصلاح التعليمي الديني الظلامي، في ظل سيادة الارهاب الديني، بعد أن تم خطف الإسلام وتزويره، وأدلجته أدلجة دموية مسلحة.
٢- الدعوة إلى محاربة الارهاب الديني والقومي السياسي والدموي المسلح بكافة أشكاله.
٣- تأكيد اخضاع المقدس والتراث والتشريع والقيم الأخلاقية للنقد العميق، وتطبيق النقد العلمي العقلاني بموجب مبدأ الجينيالوجيا الذي يتلخص بالسؤال التأويلي (من؟) وبالسؤال التقويمي (لماذا؟)، وبحيث يكون النقد تأويلاً وتقويماً لا مجرد سخرية وسباب، باعتبار أن الجينيالوجيا هي أداة وعي الحداثة، حيث يصبح النقد الحقيقي سبيلاً إلى الرشد الحقيقي.
٤- اعتبار موقف الدين العدائي من الآخرين موقفاً جاء بناء على ظروف سياسية واجتماعية معينة قبل خمسة عشر قرناً، ولم تعد هذه الظروف قائمة الآن، وانما تغيرت تغيراً كلياً، ولذا، يجب عدم الاستعانة مطلقاً بالمواقف الدينية التي جاءت في الكتاب المقدس تجاه الآخرين قبل خمسة عشر قرناً لمهاجمة الآخرين الآن وسفك دمائهم. فالمصالح متغيرة، والمواقف متغيرة. والتغير هو سنّة الحياة.
٥- اعتبار الأحكام الشرعية أحكاماً وضعت لزمانها ومكانها، وليست أحكاماً عابرة للتاريخ كما يدعي رجال الدين، ومثالها الأكبر حجاب المرأة، وميراث المرأة، وشهادة المرأة.. الخ.
٦- إن الفكر الديني وهو الفكر الذي جاء به علماء الدين وفقهاؤه ورجاله وليس الدين الرسولي نفسه، يقف حجر عثرة أمام الفكر الحر وتطوره، كما يقف حجر عثرة أمام ميلاد الفكر العلمي.
٧- لا ولاء مطلقاً للماضي المحكوم بماضيه فقط، ولا انغلاق عليه. وفهم الحاضر يدفعنا إلى إعادة النظر في قيم الماضي، وضرورة خلق المستقبل الذي هو لبّ الحداثة.
٨- لا يمكن انتاج الحاضر بتاريخ الماضي، وانما بتاريخ الحاضر، والمستقبل كذلك. وشرط تخطي الماضي قائم في الحاضر، وليس في الماضي. وخاصة ماضينا وتراثنا الثقافي الذي أقام مجزرة معرفية لنفسه بنفسه، وعادى الفلسفة بقيادة ابن تيمية والسيوطي وابن القيم الجوزية وغيرهم، وطرد العقل، واضطهد المعتزلة، وأغلق باب الاجتهاد، وحرّم علم الكلام، ونفى أصحاب المنطق، ووضع النصوص الدينية المزوّرة التي تحارب الفلسفة والحكمة وإعمال العقل (من تمنطق فقد تزندق)، وألغى العلوم الطبيعة والطب واعتبرها (علوماً دخيلة)، وحرّم الموسيقا والغناء والنحت والرسم والشعر، وكافة أشكال الفنون الإنسانية الرفيعة. فكيف يمكن الاستعانة بهذا الماضي للعبور من الحاضر إلى المستقبل؟
٩- إن ضعفنا، وهزالنا، وقلة معرفتنا، وعجزنا العلمي والعقلاني هو الذي يؤدي بنا إلى الاتجاه إما إلى الماضي للاستعانة به لبناء الحاضر، وهو أسوأ الخيارات، حيث لا يملك الماضي إلا ماضيه فقط الذي انتهت صلاحيته في وقت مضى، ولم يعد صالحاً للحاضر، وإما اللجوء إلى الخارج لبناء الحاضر، فهو أقل الخيارات سوءاً .
١٠- على العرب أن يتخلوا عن المثل الأعلى الموهوم الذي يتقمصوه تخيلاً، ومكابرة، واستعلاء، وانتفاخاً كانتفاخ الطواويس (لنا الصدر دون العالمين أو القبر).
١١- الاقرار بأن التاريخ محكوم بالقوانين وليس بهوى الشعوب ولا بخيالها ولا بتعلقها بماضيها. ولا شعب يقدر على تشكيل التاريخ حسب رغبته بالعودة إلى الوراء، واستعادة أمجاد سالفة ومدنية وحضارة سابقة. وأن الكمال البشري كما قال قاسم أمين ليس موجوداً في الماضي.
١٢- الايمان بأن اغتراب العقل لا يحقق غير سيادة الهمجية والغوغائية والمجتمع الدموي.
١٣- طرح أسئلة على كافة المستويات لم يسبق طرحها في الماضي من قبل تنويريي القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، بدءاً من الأفغاني وانتهاءً بطه حسين، وكسر جوزة المسكوت عنه،
١٤- تبني الحداثة العربية تبنياً كاملاً باعتبارها هي التي تقود إلى الحرية. والتفريق بين الحداثة الغربية والحداثة العربية. فلكل أمة حداثتها الخاصة بها.
١٥- تحرير النفس العربية من أوهامها، ومن السحر والتعاويذ والشعوذة التي تحيط بها.
١٦- تحرير النفس العربية من ماضيها، ومن حكم الأسلاف الذين ما زالوا يحكموننا من قبورهم.
١٧- عدم ادّعاء المعرفة المطلقة والأحكام النهائية. وأن لا وجود لعلم مطلق، وضرورة أن نظل منفتحين على الحقيقة.
١٨- خلق شخصية عربية جديدة متحولة من العنف واللاعقلانية والدروشة والقبلية والعرقية إلى شخصية عقلانية واقعية علمية وطنية لا عرقية.١٩٧٩
١٩- العودة إلى الذات ونقدها، والعودة إلى الوعي بالذات لا كأفراد ولكن كأمة. ولا يكفي أن نهزم الأساطير، ولكن علينا ملاحقة ظلالها في الكهوف والمغارات أيضاً.
٢٠- عدم الحرج من الاستعانة بالقوى الخارجية لدحر الديكتاتورية العاتية واستئصال جرثومة الاستبداد وتطبيق الديمقراطية العربية، في ظل عجز النخب الداخلية والأحزاب الهشة عن دحر تلك الديكتاتورية وتطبيق تلك الديمقراطية. وهذه ليست سوابق تاريخية فقد استعانت أوروبا بأمريكا لدحر النازية والفاشية العسكرتاريا اليابانية في الحرب العالمية الثانية، وقامت أمريكا بتحرير أوروبا.
٢١- لا حرج من أن يأتي الإصلاح من الخارج، ولكن بالطرق الديبلوماسية، والمهم أن يأتي سواء أتى على ظهر جمل عربي، أو على ظهر دبابة بريطانية أو بارجة أمريكية أو غواصة فرنسية. وقد سبق للفيلسوف العربي القديم (الكندي) أن قال بأن (علينا أن نأخذ الحقيقة من أي كان سواء كان مشاركاً لنا في الملّة أو لا).
٢٢- الايمان بأن لا حلّ للصراع العربي مع الآخرين سواء في فلسطين أو خارجها إلا بالحوار والمفاوضات والحل السلمي في ظل عدم تكافؤ موازين القوى العسكرية والعلمية والاقتصادية والعقلية بين العرب وأعدائهم.
٢٣- الايمان بالتطبيع السياسي والثقافي مع الأعداء، والاعتراف بالواقعية السياسية وما يجرى على أرض الواقع العربي السياسي، وعدم دفن الرؤوس في رمال الصحاري العربية المحرقة والمهلكة. وأن التطبيع والتلاقح بين الشعوب والثقافات هو الطريق إلى السلام الدائم في الشرق الأوسط. وأن اتفاقيات السلام كاتفاقية كامب ديفيد ، واتفاقية اوسلو ١٩٩٣ ، واتفاقية وادي عربة ١٩٩٤ يجب أن تصبح اتفاقيات شعبية بين الشعوب، بدلاً من أن تكون اتفاقيات دول فقط، ولا علاقة للشعوب بها. فذلك ضياع للوقت وللمصالح وتزوير للحقائق السياسية القائمة على أرض الواقع سواء رفضنا أم قبلنا. وأن فوز الانتلجنسيا العربية المزفة من جهة والرثة من جهة أخرى من التطبيع، لن يلغي احتمالات السلام الحتمية في المنطقة، والذي هو السبيل الى التغيير الشامل.
٢٤- الوقوف إلى جانب العولمة وتأييدها، باعتبارها أحد الطرق الموصلة إلى الحداثة الاقتصادية العربية التي يمكن أن تقود إلى الحداثة السياسية والثقافية.
٢٥- المطالبة بمساواة المرأة مع الرجل مساواة تامة في الحقوق والواجبات والعمل والتعليم والإرث والشهادة. وتبني مجلة الأحوال الشخصية التونسية التي صدرت ١٩٥٧ والتي تعتبر النموذج العربي الأمثل لتحرير المرأة العربية، دون الحاجة إلى تبني قيم الغرب في تحرير المرأة، ومساواتها بالرجل.

-٣-
وبعد هذا الخطاب (المانيفستو) الذي نكشف عنه لأول مرة بهذه الصياغة الأولية لليبراليين العرب الجدد، ما هي العلاقة بينهم وبين المحافظين الجدد في أمريكا والتي يحاول الإعلام العربي وبعض المثقفين، ربط هذين الفريقين ببعضهما اساءة إلى كليهما، والحطّ من قدر كليهما، والاستخفاف بهما؟
وانطلاقاً من هذا الربط المزوّر بين المحافظين الأمريكيين الجدد وبين الليبراليين العرب الجدد، يطلق الإعلام العربي على الليبراليين الجدد ألقاباً وصفات دونية منها:
- إنهم يقومون بدور مقاولي الأنفار لإصدار صحف واذاعات تروّج للهيمنة الأمريكية، كما يقول موقع الإخوان المسلمين على الانترنت.
- إنهم كتاب المارينز، كما يصفهم الكاتب (السلفي الجديد) رشاد أبو شاور وغيره من السلفيين الجدد المقنعين بقناع الليبرالية الكاذبة.
- إنهم الليبراليون المتأمركون، كما يصفهم اسامة عبد الرحمن.
- إنهم من فاقدي الرؤيا السياسية المنافقين، كما يصفهم سيّد نصار.
- إنهم كتاب الطابور الخامس كما يصفهم كتاب حزب البعث.

والحقيقة أن لا علاقة سياسية ولا فكرية بين المحافظين الجدد في أمريكا وبين الليبراليين الجدد في العالم العربي فيما عدا نقاط ثلاث فقط، يلتقي فيها الليبراليون الجدد مع المحافظين الجدد، وهي:
- تحدي أمريكا لنظم الحكم الديكتاتورية.
- تعزيز ودعم الإصلاح السياسي وحرية السوق في العالم.
- أن قيم الحرية والديمقراطية وحرية السوق ليست حصراً ووقفاً على شعب دون الآخر.

وما عدا ذلك فكلا التيارين مختلفين. فالتيار الأول من المحافظين الجدد حكام وصنّاع قرار، أما التيار الثاني من الليبراليين الجدد فهم مجموعة من المثقفين غير المنظمين، وغير المنخرطين في أي تنظيم سياسي أو ثقافي، ولا رابطة مادية لهم، ولا زعيم ولا قائد ولا شيخ ولا أمير لهم، ولا يملكون القرار السياسي. اضافة لذلك، فإن الليبراليين الجدد يخالفون المحافظين الجدد في الأفكار التالية:
- يخالف الليبراليون الجدد المحافظين الرافضين للحداثة. فالليبراليون الجدد يرحبون بالحداثة، ويعتبروا الحداثة المفتاح الحقيقي للتقدم، ودحر التخلف.
- يرفض الليبراليون الجدد دعوة المحافظين الجدد في استخدام الدين للسيطرة على الجموع.
- يرى الليبراليون الجدد، عكس المحافظين الجدد، أن الوسائل الديبلوماسية والسياسية والاقتصادية هي أنجع من القوة العسكرية في وقف العدائية والديكتاورية لدى البشرية. ومثال ذلك سقوط الاتحاد السوفياتي ١٩٨٩، وانهيار جدار برلين، رمزي الديكتاتورية في الحرب الباردة، دون إراقة نقطة دم واحدة، أو إطلاق رصاصة واحدة.
- يرى الليبراليون الجدد، عكس المحافظين الجدد، أن الحرب الدائمة لا تولد الاستقرار.
- يرى الليبراليون الجدد أن السلام هو الحل المنشود، بينما يشكك المحافظون الجدد في عملية السلام.
- يؤيد الليبراليون الجدد بناء الدول التي تهدمها الصراعات السياسية بينما يعارض ذلك المحافظون الجدد.
- يؤمن المحافظون الجدد بالإرادة الأمريكية الخيرة المطلقة، بينما يرى الليبراليون الجدد أن الخير في ذلك يجب أن يقترن بالعدالة في المواقف السياسية والدعم المادي والعلمي المتوازن للأطراف المتصارعة.

(موالو) صدام يسعون إلى تبييض سيرة الدكتاتور

يعرف العراقيون جميعاً، دون استثناء، مدى الظلم والقهر والاسبتداد والطغيان الدكتاتوري البغيض. ويعرف العراقيون أيضاً، أن (صدام) رأس النظام البائد كان المسؤول الأول عن جميع الجرائم والمحن التي مر بها العراق والمنطقة، يعرف ذلك القاصي والداني. فقد أدرك الكل بأن النظام البعثي الصدامي ما هو إلا نظام قتلة وبغي وعدوان وتعسف، استولى وأدار الحكم بذهنية مؤامراتية، جلبت للناس وللبلد مزيداً من الآلام وكثيراً من الانتهاكات، ولم يقتصر جور نظام صدام على العراقيين وعلى شعوب المنطقة بأثره المادي لوحده، وإنما شمل ذلك الأثر المعنوي أيضاً، فهذا النظام مسؤول مسؤولية كاملة ومباشرة عن تأخر البلد، وسلبه حقه في التقدم والإعمار والازدهار، إذ أضاع النظام الفاشي البعثي الفرصة تلو الفرصة التي فتحت أمام العراق، ولكنه أغلقها كلها بتعمد مسبق،

د.خالد السلطاني/معمار وأكاديمي عراقي
مدرسة العمارة/ الدنمارك

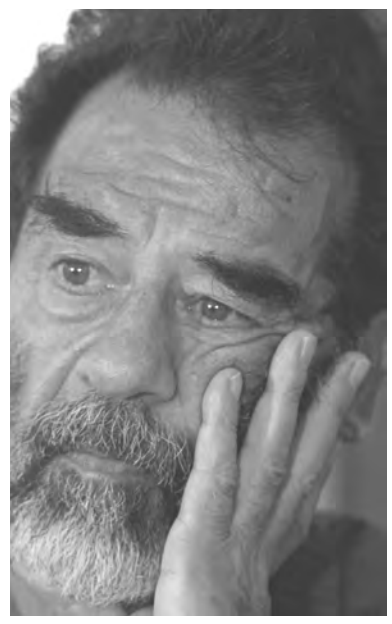

محولاً البلاد إلى سجن كبير، متسلطاً على رقاب الشعب كما يشاء، من دون رقيب أو حسيب، بتعبير آخر، يتحمل نظام صدام، وصدام نفسه كل ما مر بالبلد من أزمات ومآسٍ ومشاكل، كما يتحمل النظام ورأسه، جريرة وجود واقع مريب والعمل على تفشي وانتشار ذهنيات تتسم بتفكير ساد معادية للقيم الإنسانية، ولا سيما (معاداة) الآخر (والآخر وفق (معايير) نظام القتلة، كل من لا ينتمي من ناحية القربى والفكر والممارسة)، هذا الآخر، الذي طبقاً لمفاهيم أصحاب العقليات المجدبة ينبغي، معاداته بكل تجلياته الثقافية والاجتماعية والدينية والقومية.
وستكشف المحاكمات المرتقبة مدى هول الجرائم التي ارتكبها هذا النظام، أثارها الأولية التي تمثلت أخيراً وبشكل صارخ في شواهد المقابر الجماعية، وأثار حرق التجمعات السكانية بالغازات السامة، والآلاف المعذبة من ضحاياه الموجودين داخل العراق وخارجه، وسيدرك العالم بأسره أيضاً، مقدار أحقية الوطنيين الأحرار العراقيين وأصدقائهم، من أجل النضال ضد هذا النظام القاسي وقيمه غير الإنسانية وغير الحضارية معاً.
لكننا نشهد في الفترة الأخيرة، ثمة تسارع محموم من قبل اتباع صدام، وخدمه السابقين في محاولات تسعى إلى (تبييض) صفحة الدكتاتور، والرغبة في تقديمه لبقية أنحاء العالم كونه (إنساناً)، عادياً: يخطئ ويصيب محباً للعائلة رحيماً، شجاعاً، وربما (وطنياً) أيضاً، ينتسب إلى آل البيت الأطهار، وقد يصل نسبه إلى.. حمورابي!
ولعل ما صدر من كتب وتصاريح عديدة، لثلاثة من مواليه السابقين، مؤخراً، يصب في ذلك المسعى، مسعى العمل على نقض الصورة الحقيقية للحاكم القاتل، والحرص على طمس جرائمه الكثيرة والمتعددة. وتشكل الكتب المنشورة أخيراً والتصاريح الصحفية العديدة التي أدلى بها علاء بشير، وعبد الرزاق عبد الواحد وسامان عبد المجيد نموذجاً سافراً وفاضحاً لذلك المسعى الخبيث الماكر والشرير، الذي يؤسس لأطروحة مفادها بأن دكتاتور العراق السابق ما هو سوى حاكم عادل وديمقراطي (ويخاف) الله في كل تصرفاته وأعماله، محاط بسيل من المؤامرات الداخلية والخارجية التي عليه أن يواجهها بشيء من القسوة المبررة.
إذ يشير علاء بشير، الذي يسمي نفسه (الطبيب الخاص) للدكتاتور، في تصاريحه العديدة بمناسبة إصداره (كتاباً عن صدام)، بأن الأخير كان يقبل بشكل وبآخر (الرأي الآخر) الذي كان موقفه منه، يمثل تلك الممارسة، ويتكلم عن (شجاعة) ينسبها للدكتاتور، ويقول بأنه رأى صدام رابط الجأش، مقداماً في زيارته لابنه الجريح في المستشفى، أثناء محاولة الاغتيال الفاشلة لعدي، كما يسرد المذكور وقائع أخرى مشابهة تدل فيما تدل على القيم الإيجابية التي يحاول أن يلصقها بالدكتاتور النزيل في أحد سجون العراق، في كتابه الذي سيصدر في النرويج.
وقبل الرد على هذه الإدعاءات، أود أن أوضح بأن علاء بشير لم يكن طبيباً خاصاً لصدام، لسبب بسيط، وهو أن الرجل كان طبيباً مختصاً بالأعمال التجميلية، أي إنه لم يكن مختصاً بالأمراض التي عانى منها صدام أو أفراد عائلته، حتى يضحى طبيباً خاصاً له، من المحتمل أنه عد ضمن الحاشية الصدامية، لأن الدكتاتور كان شديد الولع بإضافة أسماء كثيرة إلى حاشيته وتابعيه وخدمه، وعلاء بشير واحد منها ليس إلا. كما إن اهتمامه بالرسم، الذي لم يكن مرموقاً به وفق تقييمات كثير من النقاد، أبعده عن اختصاصه، فلا هو بطبيب يهتم في مهنته، ولا هو رسام ذو شأن في هوايته الفنية. وبالمناسبة فإن منجز علاء بشير في الرسم يشبه إلى حد كبير (أنجاز) سيده في مجال الأدب، فرسام (لوحات الغربان) التي اشتهر بها علاء، وساديته الوحشية، تماثل إلى حد كبير تأليفات (زبيبة والملك) وبقية السلسلة (الأدبية) التي اقترنت بـ(كاتبها)، والاثنان استقيا شهرتيهما من (شهرة) وطغيان النظام الشرير اللذان كانا جزءاً منه، يرعبا به الآخرين، ويتمشدقا من خلاله (بإنجازاتهما) الثقافية.
وتصريحه الأخير بأنه (يلعن اللحظة التي اختاره صدام فيها ليكون واحداً من بين أطبائه (انظر إيلاف ١٠ يونيه ٢٠٠٤) هو محض كذب في كذب، إذ أن المدعو كان تواقاً لهذا المنصب وعمل المستحيل من أجله، ويعرف الكثيرون، والأطباء بشكل خاص، بأن علاء بشير شغل لفترة طويلة وظيفة ما يسمى (ضابط أمن دائرة المستشفى) الذي عمل بها، وهذا المنصب هو أحد المناصب التي أوجدها النظام المقبور لمراقبة الناس ورصد حركاتهم. بمعنى آخر، كان مجرد (شرطي أمن): محض (شرطي سري) ينقل (بأمانة) يومياً كل ما يدور في مستشفاه. ولم يكن هذا (المنصب) الذي شغله علاء، منصباً مفروضاً عليه وإنما سعى هو إليه طامحاً ومتبجحاً، كما إنه لم يشعر بأية إهانة إنسانية، كونه طبيباً ورساماً، كما يزعم، أن يكون (شرطياً) يكتب التقارير الأمنية على زملائه وزوار مستشفاه، بل كان يتبجح في هذا أمام الجميع، ولا نعلم كم من الناس البسطاء والخيرين أرسلهم هذا (الشرطي السري) إلى حتفهم وإلى سجون صدام المرعبة لمجرد وشاية منه أو كذبة افتعلها ضد الآخرين وضد خصومه، تماماً مثل تلك القصة المخيفة التي أوردها هو نفسه في التصريح المنشور في (إيلاف).
وفي حالة عبد الرزاق عبد الواحد، فإنه ينتحل الآن صفة (شاعر العراق)، مدعياً بأنه لم يكن شاعراً (لصدام أو شاعر السلطة، .. أنا شاعر العراق) يقول (لإيلاف) (٩ يونيو ٢٠٠٤)، وربما كان عبد الرزاق فعلاً شاعر العراق، لكنه بالتأكيد هو عراق سيده السابق: عراق صدام حسين، عراق الضيم والقهر والخيبات والطغيان وكل شيء سلبي ارتبط بذلك العهد الأسود، واقترن به عبد الرزاق، واقترن شعره به أيضاً!
وعبد الرزاق عبد الواحد هو الذي ظل يردد كثيراً متباهياً ومفاخراً (بأنه سوف يقول في صدام، ما لا قاله المتنبي في سيف الدولة!)، وقد خبر العراقيون صورته وصوته وشعره، عندما كان يظهر مراراً على شاشة التلفاز ممجداً نوبات القتل والانتقامات الجماعية التي كان يشنها النظام التوتاليتاري البائد ضد الشعب العراقي، وظل (غراب البين)، وهي صفة لصقها الشعب العراقي به وبزميله: (غراب البين) آخر، (وهو شاعر فلسطيني زعم بأنه بعثي، كان مقيماً في العراق اسمه (أديب ناصر)) ظلا كلاهما يمجد الحرب والعدوان التي افتعلها النظام البغيض ضد الشعب وقواه الوطنية وضد جيرانه، متبجحين، بكلام منظوم، عن الاعتداءات والحروب الكثيرة، التي شنها صدام ضد جيران العراق التي ساهمت في خراب البلد وقضت على شبابه ورجاله دون وجه حق! ولم يدع (شاعر العراق الصدامي البائد) أية فرصة تمر من دون تذكير الناس بولعه (وعشقه) وانتمائه لصدام ونظامه المجرم، إذ كان حاضراً بشعره وبذاته في جميع المناسبات العديدة التي يحتفل النظام بها لجهة تكريس قيمه ومبادئه في المشهد السياسي المحلي، ولا يعرف لشعر عبد الرزاق عبد الواحد، كما لا يتذكر العراقيون أية (ثيمة) أخرى، سوى موضوعة التمجيد والتملق والرياء للنظام الصدامي وإلى شخص الدكتاتور نفسه.
وتجدر الملاحظة بأن موقف عبد الرزاق تجاه النظام لم يكن موقفاً بداعي تجنب عواقب النظام أو تحييد شروره ومكره، وإنما كان موقفاً اختيارياً وطوعياً متعمداً يتسم بشره انتهازي، رخيص، لاستغلال كلامه الموزون المتساوق مع أصحاب ذهنية الجدب الثقافي الآتية من قيعان الريف الرثة، وولعهم بالألفاظ العادية المكررة، ونفورهم من كل شيء جديد وطليعي. كما إن المدعو ظل مستمراً في نهجه هذا. حتى الساعات الأخيرة من عمر النظام، في وقت قد تركه الكثيرون وبضمنهم ناظمو قصائد، ما يسمى بالشعراء القوميين.
ويحاول (سامان عبد المجيد)، وهو مترجم سابق للدكتاتور، وهارب من العراق الآن، يحاول في كتابه الصادر في الفترة الأخيرة، أن يسبغ أوصافاً على الحاكم السابق، ليست فقط بعيدة عن الواقع وإنما صعبة التصديق، كقوله بأن (صداماً كان يريد أن يكون عظيماً.. مثل خالد بن الوليد وعمر بن الخطاب، ومثل صلاح الدين الأيوبي..) أي إن الدكتاتور البربري المتوحش، الغارق في وحل جرائمه، يعتقد خادمه السابق أنه في مصاف الرجال العظماء، من دون أن يرف له جفن، كما يقال. ويستطرد سامان في نشر أكاذيبه الوهمية وتصوراته الخيالية عن صدام في ذلك الكتاب الذي أصدره في السنة الماضية، بأنه كان (.. في منتهى الرقة معه ومع الآخرين) كما (.. إنه لم يكن شخصاً متعنتاً..) وكان (.. يؤمن دائماً بالشورى، والاستماع إلى رأي الآخرين..)!
هكذا يسعى خدم صدام السابقون وموالوه المأجورون وراء محاولة (تبييض) سيرة الدكتاتور بكل الأكاذيب والافتراءات واختلاق صفات ومواقف وهمية، متخيلة فقط في رؤوسهم المريضة، عنه وإذا كان صدام بهذه الأوصاف، كما يريد مترجمه السابق أن نصدقه، فما هو إذن، سبب هذا الخراب والكوارث المفجعة التي خيمت على العراق وشعبه طيلة عهد صدام المقبور؟ وتداعياتها المأساوية لا تزال تلازمنا لحين الوقت الحاضر؟ وإذا كان هذا (الديمقراطي)، المحب للشورى، المتمسك بالدين وقيمه كما يؤكد مترجم السفاح السابق الذي يزعم بأن سيده (.. كانت كلمة الله لا تنزل عن لسانه)..
وإنه يقيم الصلاة في مواعيدها ويحرص حتى على أدائها حتى ولو كان عنده ضيوف (.. يعتذر عندما يحين وقت الصلاة، ويذهب إلى غرفة أخرى، ويعود بعد عشر دقائق (.. فبم يعلل طغيان أعضاء الحزب (القائد) واستحواذ العصابة الصدامية على كل موارد البلاد، وإقصاء جميع أفراد الشعب عن القيام بأي دور سياسي، وعزلهم عن كل مظاهر الحضارة والتقدم، وتحويلهم إلى رهائن وسجناء في وطنهم؟
هكذا يريد (الموالون) والاتباع، أن ننسى من هو صدام، وما هي عقيلته، وما هو نوع نظامه، أن نغفل عن جرائمه المفجعة الأليمة.
بماذا يمكن أن ننعت أصحاب هذه الأقوال، أولئك المناصرين المدافعين عن الدكتاتورية والدكتاتور؟
إن كلمة (غلمان) قد تكون مواتية جداً لوصفهم وملائمة كثيراً لهم، فقد كانو فعلاً كالغلمان الخنوعين: ذليلين أمام الدكتاتور، ومتظاهرين بالقوة على الآخرين، المتبجحين بوهم السلطة، والمستمتعين بعطاياها الحرام.